

# الذين شككوا باتحاد الإمارات فوجئوا بدعاماته القوية

ديسمبر ١٩٧٦

، لكن الصحيح أيضا ، ان الاستعمار ظل حريصا على أن يباعد فيما بينها ، ويذكي نار الخلافات والنزاعات بين حكامها ، كما كان حريص على عزلها عزلا تاما عن مختلف اقطار الوطن العربي ، وعلى إبقائها في حالة من التخلف لا يستطيع كل منها يوم يستعيد حريته الا ان يفكر في نفسه فقط دون غيره .

وحتى عندما بدأت الثروات النفطية تظهر في المنطقة رأى الاستعمار ان في هذه الثروات مجالا لرسم حدود جديدة تجعل اللقاء بين الامارات مستحيلا .

وكان هذا هو التحدي الأكبر الذي قبله الشيخ زايد منطلقا من مبدأ سليم يؤمن به ، وهو ان ما جمعه الله لا يستطيع الانسان ان يشتته وان ثروة الارض ان كانت لابناء هذه الارض فانها ايضا لاشقائهم ولأزدهار بلادهم جميعا ، ولتحقيق النهضة والرخاء في الوطن العربي بأسره .

الذين وضعوا ايديهم على قلوبهم يوم قام الاتحاد ، واعتبر بعضهم قيامه سابقا لاوانه ، كانوا يرددون باستمرار : هل تتغلب الروح القومية الاصلية التي يتمتع الشيخ زايد بها والتي كانت وراء اصراره على تحقيق الاتحاد على نبتة التجزئة الشيطانية التي زرعها الاستعمار ورعاها ونماها ، ولا سيما ان الاتحاد يواجه ازمت عالمية واوضاعا ورثها من الحكم الاستعماري، ولا بد من ان يزيلها كلها. في ذلك الحين، كان من الصعب ان يلقي تساؤلا من هذا النوع اجابة واضحة ومقنعة فالأمل كله كان منصبا

تناقش فيتعذر الاتفاق على اي منها ، وكانت دول أخرى في الخليج وفي شبه الجزيرة العربية تبذل الوساطات لتهيء لاحد هذه المشاريع قدرا معينا من النجاح .. لكن دون جدوى .

وقيل يومها : لا بد من أن تكون التجربة على مراحل اي اذا ما تعذر ضم الامارات المستقلة التسع كلها في اتحاد فليتحذ من يريد الاتحاد وحق افضل المشاريع حظا في الاتفاق ...

وقد نفذ هذا الرأي فعلا فقام الاتحاد سداسيا ثم توسع قليلا فاصبح سباعيا، وبقيت البحرين وقطر خارج الاتحاد ولو إلى حين .

رغم قيام الاتحاد في تلك الايام ، ورغم الفرحة التي احاطت به ، ورغم السعادة التي احس المواطنون بها ظل القلق يساور كثيرين . وكان هؤلاء يدركون ان التجربة التي كرس لها الشيخ زايد كل جهد ، وكل تضحية ، وبذل من اجلها كل طاقة ، لا تسير على طريق مفروشة بالزهور ، بل ان تتخطى عقبات كثيرة ، لعل اخطرها ان هذه التجربة احيطت بتقاؤل تجاوز كل حد ، وانها تأتي في اعقاب فشل تجارب وحدوية عديدة ، عرفها الوطن العربي في اواخر الخمسينات واولئ الستينات وأدى فشلها إلى عواصف لم تكن لتهدأ أحداها حتى تهب الثانية ، حتى التي في روع الجماهير العربية ان الوحدة - او الاتحاد مستحيلة بين الاقطار العربية ، او على الأقل هي مستحيلة خلال هذا القرن .

صحيح ان الامارات التي ضمتها الدولة الاتحادية كانت أصلا تتمتع بوحدة طبيعية وكان بين ابنائها صلات عديدة

عندما قامت دولة الامارات العربية، وانتخب الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان رئيسا لها ، وتم الاتفاق حينذاك بشكل مبدئي على ان تستبدل الدولة بالدولة بالدستور المؤقت الذي وضع لها ، دستورا دائما .. تساءل كثيرون: هل تستطيع دولة ناشئة كهذه تضم سبع امارات تتمتع كل منها باستقلال ذاتي في أنشطة كثيرة وبدأت كل منها تتعرف للمرة الأولى على نظام الحكم المعاصر في الوقت الذي قررت الدولة الانطلاق على نطاق واسع خليجيا وعربيا ، ودوليا .. هل تستطيع دولة كهذه ، أن تتغلب على سائر العقبات التي تواجهها فتتخلص اولا من رواسب التجزئة التي ارسى الاستعمار جذورها في هذه المنطقة من العالم حبة طويلة من الزمن وتستبعد النزعات العشائرية التي كانت سلاح الاستعمار خلال حكمة ، وتعيد اللحمة إلى شعبها دون حساسيات ، ولا تطلعات اقليمية ثم تملك في هذه الأثناء مقومات الدولة الاتحادية فعلا حيث تذوب الاثرة الفردية والتطلعات المحلية ، ويمرر التحدي الوجودي باجلى مظاهره ومعانيه ..

وكان المتسائلون يومها على حق فالتجربة الاتحادية في دولة الامارات، كانت من تلك التجارب التي خرجت من رياح الاعصار .

فقد كان مفروضا ان تضم الدولة كل الامارات التي استقلت في ذلك الحين، وكانت الاجتماعات تعقد بين حين واخر تحقيقا لهذه الغاية ، وتدور فيها مناقشات هادئة حيناً وعاصفة احيانا، وكانت ثمة مشاريع عديدة

من الامارات



فهل يستطيع اتحاد الامارات العربية ان يفعل ذلك، وان يصمد اعلم النزعات الاقليمية والتحديات من كل نوع ؟ ..

على ان الذين قالوا بهذا اثرأي اغفلوا كما يبدو حقيقة مهمة وهي ان اتحاد الامارات قام اصلا على ارضية تختلف عن الارضية التي قامت عليها الاتحادات أو الوحدات بين بعض الدول العربية .

ثم راح هؤلاء يوضحون رأيهم فيضيفون: كيف يكون الاتحاد اتحادا اذا كانت كل امانة من اماراتهم تملك جيشا خاصا بها ، وهوات امن ليس بينها وبين قوات الامن المجاورة لها اي تسيق وكيف يكون الاتحاد اتحادا اذا كان القضاء فيه مجزءا واذا كانت الخلافات فيه على الحدود لا تزال قائمة ، اذا كانت اعباء الاتفاق الاتحادي ملقاة على عاتق امانة واحدة، دون الامارات الاخرى القادر بعضها على الاسهام في الميزانية الاتحادية بجزء من موارده، وعندما قيل ان وضع الدستور الدائم للاتحاد متعذر الانجاز ثم قالوا: ارأيتم .. لئن كانت الدول العربية الاكثر تقدما وعراقة في انظمة الحكم المعاصرة من دول الخليج قد عجزت عن اقامة اسس الوحدة او الاتحاد فيما بينها

على ان الاندفاع القومي الذي املى قيام الاتحاد / ورغبة حكام الامارات المتحدة في انجاح التجربة وقبولهم جميعا التحديات التي يواجهها ، وهم مدركون عمليا ابعادها بالاضافة إلى معرفتهم مدى مايقفون من فائدة وطنية من اتحادهم ومدى مايتعرضون له من اخطار اذا ماخفق هذا الاتحاد. هذا كله ، يشكل نوعا من الضمان الذي كفل نجاح الاتحاد وان كان بعضهم رأي فيه ضمانا هشاً يصعب عليه الصمود امام ماتواجه المنطقة من تناقضات وما تتعرض له من مؤامرات .

والذين قالوا بهذا الرأي اعتمدوا على نظرية مؤداها ان الاتحاد ليس دستورا فحسب ، ولا نظاما فحسب ، وانما هو قبل كل شيء عمل اتحادي جدي تؤمن به الاطراف المتحددة جميعا ..

